



تراثنا

الصلات التاريخية بين سلطنة عمان والولايات المتحدة الأمريكية خلال فترة حكم السيد سعيد بن سلطان

تأليف
الدكتور رأفت غنيمي الشيخ

مايو ١٩٨١

نص المحاضرة التي ألقاها الدكتور رأفت غنيم الشيخ

حضرات السـادة الكرام

لا يسعنى وأنا بينكم في سلطنة عمان الشقيقة الا أن أتقدم بخالص الشكر لسمو السيد فيصل بن على وزير التراث القومى على تفضله بتوجيه الدعوة لشخصي لزيارة هذا القطر الشقيق الذى كان عليه خلال العصور التاريخية أن يحرس مدخل الخليج العربى وأن يكون حلقة اتصال بين أقطار الخليج والعالم الخارجي في أفريقيا واسيا ، بل وأوروبا وأمريكا أيضا .

وأنتهز هـذه الفرصـة لكي أشكركم على تفضلكم بالحضور الى هذا القـاء الذى نجتمع فيـه معا لنطرق موضوعا له أهمية مشتركة عبر تاريخ السلطنة المجيد ، ومن موقعى هذا أرفع الى حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد راعى النهضة الحديثة وصاحب السياسة الرشيدة العاملة على الاستقرار والتقدم ، ضاربا بذلك نموذجا يحتذى ، أرفع الى جلالته خالص التحية وأنا أقدم هذه الدراسة المتواضعة عن شخصية فذه من شخصيات الاسرة المالكة الكريمة هو السيد سعيد بن سلطان .

السادة الكرام .. موضوع محاضرتى هو :

« الصلات التاريخية بين سلطنة عمان والولايات المتحدة المتحدة الامريكية خلال فترة حكم السيد سعيد بن سلطان»

لكي نعـــالج هــذا الموضوع علينا أن نتطرق الى النقاط التاليـــــة : ـ

أولا : السيد سعيد وعصره

ثانيا : الولايات المتحدة الامريكية وعلاقتها بالعالم العربى٠

ثالثا : الاتفاقية التجارية بين السلطنة والولايات المتحدة عام ١٨٣٣م ٠

رابعا : زيارة سفينة السيد سعيد الى نيويورك ٠

خامسا : أهمية الصلات بين الطرفين على المستوى الخليجى والعربي والعالمي ٠

اولا : السـيد سـعيد وعصره :

يعتبر عصر السيد سعيد بن سلطان — والذى هو حفيد مؤسس أسرة البوسعيد في عمان — من أزهى العصور التي مرت بعمان خلال القرن التاسع عشر ان لم يكن أكثرها ازدهارا رغـم الصعوبات الكثيرة التي واجهته في بنـاء الدولة ، ويرى المؤرخون أن السيد سعيد بن سلطان هو بلاشك أبرز الشخصيات في أسرة البوسعيد التي لعبت دورا في تاريخ عمان والخليج وشرق أفريقيا ، ولانكون مبالغين اذا اعتبرناه من الشخصيات الهامة جدا في تاريخ العرب الحديث والمعاصر .

كل تلك الصعوبات استدعت من السيد سعيد بن سلطان البحث عن حلفاء للمساعدة في التخلص منها ، ومن ثم اتجهت أنظاره نحو أقطار أخرى عربية مثل مصر وأقطار أجنبية مثل الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا العظمى وفرنسـا .

فبالنسبة لعلاقات السيد سـعيد بن سلطان بمصر وحاكمها محمد على فقـد اتصفت العلاقات بين الرجلين بالتقدير المشترك غير المندفع ، وقلة الرسائل المتبادلة بين السيد سعيد ومحمد على وان كانت قد عبرت عن اعجاب السيد سعيد بالبناء الحديث للدولة الذى أقامه محمد على في مصر ، كما عبرت عن وجود رغبة لدى السيد سعيد في اقامة علاقات أوثق مع باشا مصر .

وتمشيا مــع هذه العلاقـــة الودية بـــين الرجلين ، وانطلاقا من تقدير محمد علي للدور الذى قام به السيد سعيد بن سلطان في الفترة من عام ١٨٠٦ الى عام ١٨١٨م فقد أحسن محمد علي وشريف مكـــة يحيي بن ســـرور استقبال السيد سعيد عندما ذهب للحج عام ١٨٢٤م ، اذ أرســـل محمد على مجموعة من كبـــار ضباطه لاستقباله وتحيته ، وأطلقت المدافع في جدة حينما اقتربت السفينة العمانية « ليفربول » المقلة للسيد سعيد من الميناء ، وعند عودته من الحج الى مسقط حمل هدايا كثيرة من محمد علي ومن شريف مكة •

واستمرت الصلات بين الرجلين ودية رغم موقف بريطانيا العظمى المعادى للنشـــاط المصـــرى في الجزيرة العربية وفي الخليج العربى بصفة خاصة ، ذلك الموقف الذى لم يكن باستطاعة السيد سعيد تجاهله نظرا للعلاقة الخاصة التي ربطت بينه وبين البريطانيين الذين ســـاعدوه ضـــد أعدائه والخارجين عليه ، ورغم ذلك لم يأخذ السيد سعيد من محمد على موقفا عدائيا ، بل ان الوثائق المصرية تشير الى أن السيد سعيد بعث برسالة الى محمد علي في عام ١٢٥٥هـ الموافق ١٨٤٠م يطلب فيها بالحاح سرعة ارسال أحد المدفعين — أى أحد الجنود العاملين على المدافـــع الحربية — لان المدفعى الوحيد الذى كان عنده قد مات •

وأما علاقة السيد سعيد بن سلطان بالدول الاجنبية

الخارجية ، فقد تمثلت في ترحيبه بعقد اتفاقيـــة تجارية مع الولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٣٣م وترحيبه بوجود قنصل أمريكى في السلطنة مما سنزيده تفصيلا بعد قليل • كما تمثلت تلك العلاقـــات في تعاونـــه مع البريطانيين في في محاربة أعدائه في الخليج العربى الذين يهددون شواطىء السلطنة وعقد معاهدة بين الســـلطنة وبريطانيا في مايو ١٨٣٩م التي تعلقت معظم نصوصها بتنظـيم التجـــارة والملاحة بين البلدين وتقديم التسهيلات البحرية للسفن البريطانية في موانىء السلطنة الى جانب النص على اعطاء القنصل البريطاني في السلطنة الحق في الفصل في المنازعات التي تحدث بين الرعايا البريطانيين المقيمين في الســـلطنة كما يؤخذ رأيه في القضايا التي تنشأ بين الرعايا البريطانيين وبين العرب •

كما تمثلت علاقات السلطنة الخارجية كذلك في عقد معاهدة تجارية مع فرنسا عام ١٨٤٤م حصلت فرنســـا بمقتضاها على نفس الامتيازات التجارية والقضائية التي نصت عليها معاهدة عام ١٨٣٩م مع بريطانيا العظمى • وفي اعتقادنا أن الامتيازات القضائية التي حصلت عليها كل من انجلترا وفرنسا في سلطنة عمان انما جاءت تحت الحاح الدولتين وحاجة السيد سعيد الى صداقتهما ، الى جانب أنه لم يفهم من نص المعاهدات أن هذه الامتيازات تتعدى البريطـــانيين المنتمين الى الجنس الانجليزى الى الهنود

الذين اعتبرهم المسئولون البريطانيون رعايا انجليز ينطبق عليهم النص ، ونفس الشىء يقال بالنسبة للفرنسيين ورعاياهم في جزر المحيط الهندى من غير العنصر الفرنسي.

ثانيا : الولايات المتحدة وعلاقتها بالعالم العربى

أعلنت الولايـــات المتحـــدة الامريكية استقلالها عام ١٧٧٦م • ومن ثم جـــاء اهتمامها بالاقطار العربية عامة وأقطار الخليـــج العربى والجزيرة العربيـــة بصفة خاصة متأخرا عن اهتمامات الدول الاوروبية الاخرى مثل البرتغال وهولندا وفرنسا وبريطانيا ، اذن جاء الاهتمام الامريكى بالعالم العربى متأخرا عن غيرها من دول العالم بسبب تأخرها في حصولها على الاستقلال ، ولانها عندما حصلت على استقلالها تمثلت بســياسة مؤسسها الاول جـــورج واشنطن G. Washington الداعية الى العزلة ، وهى السياسة التى سارت عليها الولايات المتحدة لمدة زادت عن قرن من الزمان •

ونتيجة لذلك جاءت علاقة الولايات المتحدة بالعالم العربى على استحياء ، ويتمشى مـــع امكانيـــات الدولـــة الجديدة ، ومع رغبتها في التفرغ للبناء الداخلى على الارض الامريكية دون تدخل من الغير ودون أن تنغمس في مشكلات الاخرين ، كما أشـــــار الى ذلـــك الرئيس جيمس منرو J. Monore في تصريحه الشهير عام ١٨٢٣م •

ورغم أن أقطار العالم العربى كانت مجهولة للامريكيين فيما عدا ماقرأوه عنها في الكتب مثـــل « ألف ليلة وليلة » و « تاريخ فراعنة وادى النيل » ، ورغم أن سكان تلك الاقطار كانوا يجهلون كـــل شيء عن الامريكيين ، فـــأن

الولايات المتحدة كانت منذ فجر استقلالها أواخر القرن الثامن عشر راغبة في ابرام معاهدات ودية وتجارية مع دول أوروبا تفتح أبواب التجارة أمام التجار الامريكان في أوروبا وأقطار شمال أفريقيا العربية ، وقد نجحت بالفعل في تحقيق هذا الهدف سواء في الاقطار العربية بشــمال أفريقيا أو تلك الاقطار في المشرق العربى •

وكانت دولـــة العلويين بالمغرب الاقصى ـــ المملكة المغربية الحـــالية ـــ أول قطر عربى يعترف باســـتقلال الولايات المتحدة الامريكية ، وقـــد ســـارت العلاقة بين الطرفين قويـــة وودية منـــذ ذلك الحين ، فنجد مثلا ان الكونجرس الامريكى اقترح على الحكومة أواخر الثمانينات من القرن الثامن عشر عام ١٧٨٦م عقد معاهدة صداقة وتجارة مع المغرب الاقصى ، كما أنه طلب وساطة المولى محمد بن عبد الله حـــاكم المغـــرب لدى نيـــابات تونس وطرابلس الغرب لوقف مهاجمة سفنها على السفن التجارية الامريكية العاملة في البحر الابيض المتوسط •

وعنـــدما انتخب جورج واشنطن رئيسا لولايـــات المتحدة الامريكية عام ١٧٨٩م أشاد في رسالة بعث بها الى الحكومة المغربية بالعلاقات الودية التى تربط البلدين منذ فجر الاستقلال الامريكى ، والواقع أن مراسلات المولى محمد بن عبد الله مع الكونجرس الامريكى منذ اعلان الاســـتقلال الامريكى تعتبر أول اعتراف دولـــى بحكومة

الولايات المتحدة الامريكية ، ولن تنسى الولايات المتحدة ذلك للمغرب ، وستكون القنصلية الامريكية في مدينة طنجة المغربية التى قامت اعم ١٨٢٠م أول قنصلية أجنبية في المغرب •

واذا كانت المغرب أول قطر عربى يقيم علاقات ودية وتجارية مع الولايات المتحدة الامريكية ، فان سلطنة عمان كانت القطر الثانى الذى أقام هذه العلاقات على المستوى العربى ككل ، والقطر العربى الاول في منطقة الخليج والجزيرة العربية ، ولعلنا نجد تشابها بين القطر المغربى والقطر العماني في النظر الى الولايات المتحدة انذاك باعتبارها دولة حديثة الاستقلال عن بريطانيا وعن فرنسا ، وباعتبارها تسعى لتحقيق مصالح اقتصادية ، هذا بالاضافة الى أنه لم تكن للعرب معها — على الاقل — سوابق مؤلمة تجعلهم يتشككون أو يتخوفون من اقامة علاقات معها ، ومن ثم سعت المغرب الى تكوين علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة في مواجهة التامر الاستعمارى الاوروبى على المغرب ، كما سعت سلطنة عمان الى اقامة علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة تحقيقا لتوازن مع القوى الاجنبية الاخرى الطامعة في مد نفوذها على منطقة الخليج والمحيط الهندى وشرق أفريقيا •

ويجب أن نلاحظ أن الولايات المتحدة كانت حريصة كل الحرص على توفير الامن والرعاية لمصالحها الاقتصادية

في العالم ، ومن ثم لم تكن لتقف مكتوفة الايدى اذا ما تعرضت تلك المصالح للخطر ، ولعلنا لاننسى في هذا المجال قصة السفينة الحربية الامريكية المسماة « فيلادلفيا » في مياه ميناء طرابلس الغرب في عهد يوسف القرمانلي أول القرن التاسع عشر •

وتفصيل ذلك أن يوسف القرمانلى باشا أنذر الولايات المتحدة عام ١٨٠٠م بأنه مالم تدفع السفن الامريكية المارة في البحر المتوسط جزية وهدية سنوية لحكومته فان سفنه سوف تهاجم السفن الامريكية وتسلبها ما تحمله ، ولكن الحكومة الامريكية رفضت الخضوع لتهديدات الباشــا فتعرضت السفن الامريكية لهجوم من سفن يوسف باشا مما دفع الرئيس الامريكى الى تكليف بعض القطع البحرية الامريكية بمعاقبة الباشا ، وبالفعل حاصرت هذه القطع ميناء طرابلس الغرب وأخذت تضربه بالقنابل •

وحدث أثناء ضرب القطع البحرية الامريكية لمينــاء طرابلس الغرب أن جنحت احدى هذه القطع على شاطىء الميناء وتدعى « فيلادلفيا » في ٣١ أكتوبر ١٨٠٣م ، فأسرها جنود يوسف باشا وأخذوا بحارتها البالغ عددهم ٣٠٠ رجل أسرى ، ورفض يوسف باشا اطلاق سراح السفينة الامريكيــة فيــلادلفيا وبحارتها الا اذا تعهدت الولايات المتحدة بدفع مطلبه السابقة ، ومن ثم اتجهت الولايات المتحدة الى أسلوب اخر تجبر به الباشا على اطلاق سراح

السفينة وبحارتها ، وتولى هذه العملية القنصل الامريكى في تونس ويدعى « ايتون » •

قام ايتون باقناع أحمد القرمانلي المقيم بمصر منذ أن فر من طرابلس الغرب أمام بطش أخيه الاصغر يوسف باشا ، بأن يرافق حملة عسكرية قوامها البدو والمالطيين واليونانيين لكي يستعيد حكم الولاية من أخيه يوسف ، وبالفعل استطاعت الحملة العسكرية ، احتلال مدينة درنة في ٢٦ أبريل عام ١٨٠٤م ، مما أجبر يوسف باشا على فتح باب المفاوضات مع الامريكيين حيث قبل اطلاق سراح السفينة الامريكية « فيلادلفيا » وبحارتها الاسري مقابل ٦٠ ألف قرش بدل ٤٠٠ ألف قرش كان يوسف باشا قد طلبها من الامريكيين • كما تعهد بعدم التعرض للسفن الامريكية ، ومن ثم قام « ايتون » بالعمل على عودة أحمد القرمانلي الى مصر وانهاء الحملة العسكرية التي قادها ضد يوسف باشا • وان كان الامريكان قد نجحوا في احراق السفينة في الميناء قبل الاتفاق مع الباشا •

كما يجب أن نلاحظ أن البعثات التبشيرية الامريكية أخذت تزاول نشاطها في الاقطار العربية منذ أوائل القرن التاسع عشر ، حيث بدأت تنشيء مستشفيات ومدارس وكنائس في كل من مصر وسوريا ومنطقة الخليج العربى منذ عام ١٨١٩م •

ومن هنا فان عقد اتفاقية بين سلطنة عمان والولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٣٣م جاء متمشيا مع سـياسة الولايـات المتحـدة في المنطقة العربية ، بمعنى أن قيام سلطنة عمان بتوقيع مثل هذه الاتفاقية لايمكن النظر اليه على أنه عمل منفرد قامت به السلطنة دون غيرها من الاقطار العربيـة .

ثالثا : الاتفاقية التجارية بين
السلطنة والولايات المتحدة عام ١٨٣٣

تمتعت سلطنة عمان في عهد السيد سعيد بن سلطان بقدر كبـــير من الاستقلال تمتاز بـــه عن غيرها من أقطار الخليج العربى ، كما تميزت بامتدادها حتى شرق أفريقيا، حيث صار للسلطنة جناح أفريقى في زنجبار (أو زنزبار) الى جـــانب القلب الذى مقره مســـقط في مدخل الخليج العربى •

ورغم أن زنجبار ظلت خاضعة لحكم سلطنة عمان منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادى الا أنها لم تلق العناية الكافية بالتنمية والتطوير حتى اتجه اليها السيد سعيد بن سلطان في العشرينيات من القرن التاسع عشر ، حيث أدخل زراعة القرنفل في زنجبار واعتباره محصولا تجاريا ، وحيث أنشأ عدة مزارع على الارض الافريقية ودفع بالتجار العمانيين للتوغل في القارة الافريقية للمتاجرة مع الافارقة ، كما قدم مساعدات ذات أثر كبير في نجاح رحلات المستكشفين الاوروبيين داخل أفريقيا الذين مارسوا عمليـــات الكشف خلال النصف الاول من القرن التـــاسع عشر •

كان تطوير الشق الافريقى من سلطنة عمان في عهد السيد سعيد عامل جذب للقوى الاجنبية لكى تسعى الى

تقويـــة علاقتها بالســـلطنة ككل ولكى تحصل على متاجر زنجبار بصفة خاصة ، وكانت الولايات المتحدة الامريكية أول القوى الاجنبية في التطلع الى فتح أسواق زنجبار أمام التجار الامريكان لبيع المنتجات والسلع الامريكية من ناحية ولشراء المنتجات والسلع المنتجة في الشق الافريقى من سلطنة عمان من ناحية أخرى •

وقد بدأت مقدمات العلاقات التجارية بين سلطنة عمان والولايـــات المتحـــدة الامريكية حينما زار التاجر الامريكى الكابتن « ادموند روبرتس » Edmond Robertes الذى ينتمى الى « نيوهامبشير » ، في عام ١٨٢٧م زنجبار متطلعا الى تحقيق كسب مادى كبير هناك ، ولكنه لم يجد التسهيلات التى يلقاها البريطانيون هناك حلفاء السيد سعيد بن سلطان ، ومن ثم عاد الى الولايات المتحدة يحمل فكرة عقد معاهدة مع السلطنة لكى تروج التجارة الامريكية في ممتلكات السلطنة •

وافـــق الرئيس الامريكى « أنـــدرو جاكســـون » Andrew Jackson على فكرة عقد معاهدة تجارية بين الولايات المتحدة وسلطنة عمان ، وعهد الى ادمون روبرتس باجراء المفاوضات اللازمة والتوصل الى المعاهدة المنشودة، وكـــان وصـــــول الســـفينة الامريكيـــة « بيكوبـــك » حاملة بعثـــة روبرتس الى مســـقط دليلا ليس فقط على الاهتمام الامريكى بكل اسيا وأفريقيا ، بل وأيضا كون

سلطنة عمان دولة ذات أهمية بارزة •

تم توقيع الاتفاقية التجارية بين السلطنة والولايات المتحدة في ٢١ سبتمبر ١٨٣٣م ، وكانت أول اتفاقية يعقدها السيد سعيد بن سلطان مع دولة كبرى ، وقد صارت تلك الاتفاقية المثل الذى سارت على منواله معاهدات السلطنة مع بريطانيا عام ١٨٣٩م ومع فرنسا عام ١٨٤٤م • وقد ظلت الاتفاقية الامريكية العمانية سارية المفعول حتى عام ١٩٥٨م حين أبطل مفعولها واستبدلت بمعاهدة جديدة للصداقة والعلاقات الاقتصادية والحقوق القنصلية بين الطرفين •

وبموجب هذه الاتفاقية تمتع الامريكيون في ممتلكات السلطان العربية — مسقط — والافريقية — زنجبار — بامتيازات اقتصادية وقضائية ، حيث صار التجار الامريكيون الذين يتاجرون في أراضي السلطنة وينزلون في موانيها يدفعون ٥٪ فقط رسوما على البضائع التى يجلبونها الى موانىء السلطنة ، وأن يعفوا من دفع آية ضرائب أخرى على الصادرات والواردات ، وأن يعفوا كذلك من رسوم الارشاد الملاحي في موانى السلطنة • كما صار من حق القنصل الامريكى في السلطنة الفصل في المنازعات التي تنشأ بين رعايا دولته ، ونصت المعاهدة كذلك على حق قنصل السلطنة في الفصل في القضايا بين رعايا دولته في الولايات المتحدة •

وفي تقييمنا للاتفاقية التجارية الامريكية العمانية نلاحظ أن الاتفاقية جعلت السيد سعيد بن سلطان يشعر بأهميته وبقدرته على الدخول في اتفاقية مع دولة كبرى ، مما جعله يميل الى كسب المزيد من رضا الامريكيين فيعرض عليهم امتيازات تجارية خاصة في شرق أفريقيا على أن يقفوا بجواره ويساعدوه بالسلاح لاخضاع «ممباســه» لسيادته ، ولم يغضبه عدم استجابة الامريكيين لطلبه .

كما أن ادراك السلطان السيد سعيد بأنه قادر على عقد اتفاقية مع دولة كبرى يشعره بالندية ويستند اليها في مواجهة القــوى الكبرى الاخرى ــ خــاصة انجلترا وفرنسا ــ في تحقيق نفع له ولسلطنته تكسبه مكانة دولية وتكسب السلطنة اعترافا دوليا تسعى اليه الاقطار الحديثة ذات الحكومات الناشئة في كل من أفريقيا واسيا بل وأمريكا اللاتينية .

وعلى الجانب الامريكى فقد استقبل الرئيس الامريكى « أندرو جاكسون » رسالة السلطان التى حملها « ادموند روبرتس » مع نص الاتفاقيــة عند عودته الى الولايات المتحدة بكل تقدير حيث أكدت الرسالة على تمنيات السيد سعيد الطيبة للرئيس الامريكى وشكره على الرسالة التي حملها اليه « روبرتس » التي حملت المودة والتقدير من الرئيس الامريكى للسيد سعيد .

ومما جاء في رسالة السيد سعيد لرئيس جاكسون :

ولقد استجبت من كل النواحى لرغبات معالي سفيركم — روبرتس — وذلك بابرام معاهدة صـــداقة وتجـــارة بين بلدينا العزيزين ، هذه المعاهدة التي سنتقيد بها بكل اخلاص أنا ومن يخلفنى في الحكم الى الابد . وتستطيع سيادتكم أن تطمئن بأن كل السفن الامريكية التى ترسوا الموانىء التابعة لي ستلقى نفس المعـــاملة الكريمة التى تلقاها في موانىء بلادكم السعيدة التى يسود فيها الهناء . وآمل من كل قلبى بأن ســـيادتكم ستعتبرنى صديقك الدائـــم والحميم ، وأن صداقتى لسيادتكم لن تزول مع الايام بل ستستمر زيادة في الرسوخ الى الابد .

ونتيجة لما جاء في الرسالة وما احتوته الاتفاقية من نصوص في صالح الولايات المتحدة دون أن تحملها تبعات أو تضع عليها من قيود ، فقد كان وقع الاتفاقية في الولايات المتحدة طيبا ، وتمت مصادقة كل من الرئيس « جاكسون » والكونجرس دون ابطاء ، كيف لا والاتفاقية لم تحمل الولايات المتحدة أية التزامات نحو سلطنة عمان ، كما أن الولايات المتحدة قد أصبحت مرتبطة بصداقة احدى القوى الاسيوية الافريقية ، التى تفخر بامتلاكها أسطولها أكبر من الاسطول الامريكى ، اذ كان أسطول السلطنة مكونا من حوالي ٧٥ سفينة مختلفة الاحجام كل منها مزودة بعدد من المدافع يتراوح بين ٤ و ٥٦ مدفعا ، كما أن السفن العمانيـــة التجـــارية — وكما لاحظها المبعوث الامريكى

روبرتس — تبحر شرقا الى الهند وسيلان وجاوة الى جانب موانى شرق أفريقيا •

ويمكن أن نضيف أنه رغم أن الاتفاقية احتوت نصا على ان يكون من حق القنصل الامريكي في السلطنة الفصل في المنازعات بين رعاياه ، وأن يكون من حق القنصل العماني — اذا وجد — في الولايات المتحدة الفصل في الخصومات التى قد تنشأ بين المواطنين العمانيين هناك ، فان هذا النص كان لصالح الولايات المتحدة أكثر من كونه في صالح السلطنة ، اذ لم يكن من المحتمل أن يقوم مواطنون عمانيون بالاقامة والاتجار في الولايات المتحدة ، وان كان تخلص السيد سعيد من مسئولية الفصل في الخصومات التي تقع بين الاجانب المقيمين في السلطنة قد يجنبه كثيرا من المشاكل •

وكان رد الفعل البريطاني نحو الاتفاقية الامريكية العمانية يدل على السياسة البريطانية نحو منطقة الخليج العربى وشرق أفريقيا والمحيط الهندى بصفة عامة ، تلك السياسة التي تقوم على الانفراد بالنفوذ دون منافس من قوة كبرى خارجية أو حتى داخلية ، وفي سبيل ذلك قيدت حكام امارات الساحل العماني أواخر العقد الثاني من القرن التاسع عشر بمجموعة اتفاقيات أعقبت القضاء على قوة القواسم في رأس الخيمة تقضي بسيطرة النفوذ البريطاني دون منازع وحرمان تلك الامارات من عقد

اتفاقات حتى ولو كانت تجــارية دون موافقة الحكومة البريطانية .

ولما كانت ســلطنة عمان في عهد السيد سعيد دولة مستقلة تتمتع بقدر لابأس به من الاستقلال لا تتمتع به أى من امارات الخليج العربى ، فانه بحكم الصداقة التي ربطت بين السيد سعيد مع بريطانيا حذروا السيد سعيد من أن تكون للولايات المتحدة أطماع في شرق أفريقيا ، ومن ثم يجب عــدم قبول النشــاط الامريكى المتزايد في ممتلكات السلطنة ، واستجاب السيد سعيد لوجهة النظر البريطانية وعرض على البريطانيين عقد معاهدة مشابهة للمعاهدة مع الولايات المتحدة .

ورغم أن الولايــات المتحــدة لم تكن من سياستها التدخل في الامور الداخلية في سلطنة عمان ، أو غيرها من الاقطار التي توجد معها اتفاقيات تجارية ، وأن جل هم الامريكيون هو الاتجار مع الاقطار الاخرى ، ورغم أن البريطانيين تأكدوا أن الامريكين لايســعون الى تكوين مستعمرات في ممتلكات الســلطنة الافريقية الا أن السيد سعيد استجاب للموقف البريطاني فقصر العلاقة بينه وبين الامريكين على النــواحي التجــارية فقط ، وعقــد مع البريطانيين معاهدة تشــبه في نصــوصها المعــاهدة مع الامريكين ، وذلك عام ١٨٣٩م .

وقد أدت الاتفاقية الامريكية العمانية التجارية الى

ازدهار التجارة الامريكية في ممتلكات السلطنة الافريقية أكثر من ازدهارها في مقر السلطنة بمسقط ، اذ تزايد عدد السفن الامريكيــة التي ترســو في زنجبار والتي تحمل قماشا قطنيا أمريكيا متينا سرعان ما شاع استعماله في شرق أفريقيا والخليج العربى والجزيرة العربيــة ، الى جانب الادوات المنزليــة والبنادق والبارود والســاعات والاحذية ، وفي المقابل تحمل من زنجبار القرنفل والعاج وصمغ الكوبال الذى يستخدم في تحضير الطلاء ، ولب جوز الهند المجفف والتوابل •

ونتيجة لازدياد النشاط التجارى الامريكى في ممتلكات ســلطنة عمــان بشرق أفريقيا ، فقــد اختارت الحكومة الامريكية أحد رعاياها ويدعى المستر « ريتشارد ووترز » Richard Waters عــام ١٨٣٦م ليكون أول قنصــل أمريكى في زنجبار ، تلاه تعيين قنصل أمريكى اخر يدعى هنرى مارشال Henry Marshall في مسقط ذاتها في عام ١٨٣٨م •

الا أن النشاط التجارى الامريكى مع زنجبار كان أكثر بصورة واضحة من ذلك النشاط مع مسقط ، فعلى سبيل المثال زارت مسقط خلال العام ١٨٣٨/١٨٣٩م ثلاث سفن أمريكية فقط بلغت قيمة البضــائع التى أفرغتها في ميناء مسقط حوالي ١١٠٠ دولار فقط ، وكان التمر يمثل ركنا أساسيا في التجارة الامريكية العمانية حتى الحرب العالمية

الاولى ، فكانت السفن الامريكية تنقل من مسقط كميات كبيرة منه الى الولايات المتحدة •

وقد ظلت العلاقة بين سلطنة عمان والولايات المتحدة الامريكية ، ودية حتى منتصف القرن التاسع عشر ، أى على مدى مايقرب من عشرين سنة منذ عقدت الاتفاقية التجـارية بين الطرفين عـام ١٨٣٣م ، ولكن حدث أن اضطربت تلك العلاقة نتيجة عدة عوامل منها :

أولا : رغبة السيد سعيد في تعديل المادة الثانية من معاهدة الصـداقة والتجـارة المعقودة بين الطرفين عام ١٨٣٣م ، والتى تنص على أن من حق البحارة الامريكيين دخول كل الموانىء الخاضعة للسلطان ، وأصر السيد سعيد على أن المادة الثانية تشير — في رأيه — الى أن هذا الحق كان يقتصر على ميناء رئيسي واحد هو ميناء زنجبار ، ولم ترغب الحكومة الامريكية في الاستجابة لطلب السـلطان فتحرم تجارها بصفة رسمية من التجارة في بقية موانى السلطنة خشية أن تفتح هذه الموانىء أمام تجار دول أخرى •

ثانيا : الخلاف بين السيد سعيد والامريكيين حول مدى سـلطة المحكمة القنصلية الامريكية في السـلطنة على الرعايا الامريكيين ، وقد فجر هذا الخلاف ارتكاب بحار أمريكى جريمة قتل في حق مواطن

عربى ، كما فجره الخــلاف الذى كثــيرا ما كان ينشب بين الرعايا الامريكيين في الســلطنة وبين التجار الهنود المعروفين باسم « البانيـــان » — الهندوس من غير ذوى الكتــاب — والمشــمولين بالحماية البريطانية •

وقــد لعب القنصل الامريكي في زنجبار « شارلس وارد » Charles Ward الذى تسلم مهام وظيفته في الجزء الافريقي من السلطنة بتاريخ ٢٤ يناير ١٨٤٦م ، دورا في سوء العلاقة بين السيد سعيد والولايات المتحدة، مما أدى الى قطع العلاقة بين البلدين في يوليو ١٨٥٠م ، واعتقد « وارد » أن القنصل البريطانى في زنجبار كان وراء سوء العلاقة بين الولايات المتحدة والسلطنة ، وتوقع تفكك السلطنة بعد وفاة السيد سعيد وأشاع ذلك مما أغضب السيد سعيد •

ورغم أن السيد ســعيد كان حريصا على استمرار العلاقة مع الولايات المتحدة ، فانه أضطر الى توقف تلك العلاقة بعد أن استنفذ الوسائل المتاحة لكي يحل المشكلات التي أثيرت بين الطرفين ، فقد بعث السيد سعيد برسالة الى الحكومة الامريكية في سبتمبر ١٨٤٧م ، الا أنه لم يتلق ردا عليها مما دفعه الى التمسك بتفسيره للمادة الثانية للمعاهدة المعقودة بين البلدين • وكانت الرســالة تطلب ضمانات أمريكيــة محددة حول المدى المحدد للتجــارة

الامريكية في سواحل أفريقيا الشرقية التابعة للسلطنة ، وتطلب تحديدا للاختصاصات القضائية للقنصل الامريكي في السـلطنة ، ووقف أى تدخل في الشـئون الداخليـة للسلطنة من جانب القنصل الامريكى .

وأرادت الولايات المتحدة ألا تفقد صداقة السلطان فأرسل الرئيس الامريكى « ميلارد فيلمور » رسالة ودية حملها مبعوثه الى السيد سعيد يدعى « الكومودور أوليك » وغادر القنصل « وارد » الى الولايات المتحدة ، وعندما وصل « أوليك » الى زنجبار في أول ديسمبر عام ١٨٥١م اجتمع مع التجار الامريكيين قبل أن يسلم رسالة الرئيس الامريكى للسيد سعيد ، وعرف منهم مدي صداقة السيد سعيد وحسن معاملته لهم ، وأنه لم يسىء للعلم الامريكى كما أدعى القنصل « وارد » وأنهم يتمتعون بامتيازات في السلطنة تفوق مايتمتع به غيرهم من التجار الاجانب .

وعندما غادر المبعوث الامريكى « أوليك » زنجبار ترك أثرا طيبا بين أهل السلطنة وحكامها ، وتحمل القناصل الامريكيون منذ عام ١٨٥٢م مسئولية العمل على تحسين العلاقات بين السلطنة والولايـات المتحـدة الامريكية ، وبالفعل امتلات تقارير هؤلاء القناصل بالاشادة بروح المودة التي يبديها السـيد سـعيد نحو الامريكيين ، وأن العلاقات التجارية بين البلدين ثابتة ومستقرة .

ومما تجدر الاشارة اليه أنه نظرا للاهتمام بالجانب

الافريقى من السلطنة كان تعيين قناصل أمريكيين في زنجبار أسبق من تعيين زملاء لهم في مسقط ، بل أن القنصلية الامريكية بمسقط أحيانا ماخلت ممن يشغلها ، وأحيانا أخرى تخضع لسلطان القنصل الامريكى في زنجبار • واذا كان أول القناصل الامريكيين قد وصل الى زنجبار عام ١٨٣٦م ويدعى « ريتشارد ووترز » — السابق الاشارة اليه — فان اخر قنصل للولايات المتحدة قد غادر زنجبار عام ١٨٩١م بعد أن دخل الانجليز المنطقة • بينما تسلم المستر « هنرى مارشال » عمله كقنصل للولايات المتحدة في مسقط عام ١٨٣٨م ، ثم ألغيت القنصلية الامريكية بمسقط في المدة من ١٨٤٥ الى ١٨٨٠م ، حين عين المستر « ماجبور » Magbour — وهو تاجر بريطاني — قنصلا للولايات المتحدة الامريكية في مسقط ، وفي عام ١٨٨١م اعترفت به فرنسا قنصلا لها أيضا في سلطنة عمان •

ورغم أن العلاقة بين سلطنة عمان والولايات المتحدة خلال الفترة الممتدة من الاتفاقية التجارية لعام ١٨٣٣م • ولمدة مائة عام تقريبا لم تعتبر ذات أهمية بالغة من وجهة نظر أى من الطرفين ، الا أن وجودها في حد ذاته كان يبشر بعهد جديد في مجال العلاقات الدولية •

رابعا : زيارة سفينة السيد سعيد لنيويورك

تمشيا مع السياسة الودية بين سلطنة عمان والولايات المتحدة التي بدأت مع معاهدة الصداقة والتجارة التي عقدت بين البلدين عام ١٨٣٣م ، بعث السيد سعيد بسفينته المسماة « سلطانة » في رحلة الى ميناء نيويورك الامريكى عام ١٨٤٠م لشراء الاسلحة والذخيرة التي كان في حاجة اليها أثناء صراعه ضد الوجود البرتغالي في موزمبيق ، وتولى قيادة هذه السفينة ربان بريطاني يدعى وليام سليمان William Sleeman واختار السيد سعيد أمين سره الخاص الحاج أحمد بن نعمان ليكون ممثلا له في الولايات المتحدة ، بل أول مبعوث عماني الى الولايات المتحدة .

وقد حمل الحاج أحمد بن نعمان معه هدية السيد سعيد للرئيس الامريكى وكانت عبارة عن جوادين عربيين ، وبعض الجواهر وسيفا مطعما بالذهب الى جانب العطور ، وقد أهدى الرئيس الامريكى للسيد سعيد باخرة كبيرة مؤثثة بأثاث فاخر الى جانب ٤ مسدسات تلقائية الدوران وبندقيتين تلقائيتى الدوران كذلك .

كما حملت السفينة « سلطانة » أكثر من ألف من أجولة التمر العماني وحوالي عشرين بالة من السجاد الايراني ، ومائة كيس من قهوة « مخا » و ١٠٨ من أنياب

العاج وحوالي ثمانين جوالا من صمغ الكوبال الراتينجى ، و ١٣٥ جوالا من القرنفل ، وألف جلد من جلود الحيوان المجففة ، وهذه الحمولة بيعت لحساب السيد سعيد في نيويورك .

وحملت « سلطانة » من نيويورك بضائع متنوعة كان منها ١٢٥ بالة من الملاءات الرمادية تسمى « ميركاني » ، و ٢٤ ثوبا من قماش قرمزى اللون ، و ١٣ حقيبة من الخرز الاحمر والابيض والازرق ، وعشرين دستة من القماش المطبوع ، و ٣٠٠ بندقية ، وبارود ، وأطباق من الصينى ، وبعض الاشياء الشخصية للسيد سعيد .

وعندما وصلت « سلطانة » الى ميناء نيويورك ، لقى ركابها العرب بعض المضايقات من بعض الامريكيين ، اذ أثار منظر العرب العمانيين بملابسهم المميزة انتباه الناس في شوارع نيويورك فتعقبوهم في المسير واقتربوا منهم وأخذوا يتحسسون لحاهم ولايتركون لهم فرصة للخلو الى أنفسهم ، الا أن هذه المضايقات سرعان ما ضاع أثرها حين لقى ركاب السفينة سلطانة كل تكريم وترحيب من محافظ « بروكلن » ومن رئيس نادى البحرية في نيويورك ، وصدرت أوامر الرئيس الامريكى « فان بورين » Van Buren ووزير بحريته بادخال السفينة سلطانة الى حوض الاسطول الامريكى وتجهيزها للابحار على نفقة الحكومة الامريكية ، ومن ثم شحنها بالمنتجات

الامريكية التي أشرنا اليها لتعود بها الى السيد ســـعيد •

استغرقت رحلة السفينة سلطانة حوالي عشرة أشهر منذ أن خرجت من زنجبار حتى عادت اليها ، وقد قاد رحلة العودة الى أرض الوطن ربان أمريكى استطاع أن يجتاز بها المحيط الاطلنطى بأمواجه المضطربة ، بسلام ، عادت وعليها مبعوث السيد سعيد الحاج أحمد بن نعمان بعد أن أتم مهمته على خير وجه فكان بحق خير سفير لبلده في تلك البلاد البعيدة •

وان دلت رحلة السفينة سلطانة الى نيويورك على شىء فانما دلت على رغبة كل من سلطنة عمان في عهد السيد سعيد بن سلطان والولايات المتحدة الامريكية في تقوية واستمرار العلاقات الودية بين الطرفين وخاصة في المجالات الاقتصادية ، وهى المجالات التى كانت تستهوى التجار الامريكيين أكثر من أى شىء اخر ، في الوقت الذى لم تكن فيه حكومة الولايات المتحدة الامريكية راغبة في التدخل في المشكلات السياسية انطلاقا من سياسة العزلة التى سارت عليها منذ أعلنت استقلالها عن انجلترا •

خامسا : أهمية الصلات بين السلطنة والولايات المتحدة على المستوى الخليجى والعربى والعالمي

كان للعلاقات بين سلطنة عمان والولايات المتحدة أثر هام على موقف كل من البلدين ، فقد استفادت الولايات المتحدة بازدهار تجارتها لاكثر من نصف قرن من الزمان ، بل ان هذه التجارة فاقت التجارة البريطانية في ممتلكات السلطان العماني ، وقد شهدت السنوات ما بين ١٨٣٣م الى ١٨٥١م تصاعدا مستمرا في أرباح التجارة الامريكية ، ففي عام ١٨٣٣م كان مجموع السفن الامريكية التي وصلت الى زنجبار تسع سفن بينما كان عدد السفن الانجليزية أربع سفن فقط ، وارتفع عدد السـفن الامريكيـة التى وصلت الى زنجبار عام ١٨٥٦م — وهى سنة وفاة السيد سعيد — الى ٢٦ سـفينة بينما لم يتجاوز عدد السـفن البريطانية اثنتين ، وهذا يعنى أن السيد سعيد قد ضمن للولايات المتحدة تطوير لمصالحها في المنطقة .

وعلى الجانب الاخر ، فقد استفادت سـلطنة عمـان من علاقتها بالولايات المتحدة ، في أن الوجود التجاري الامريكى القوى في السلطنة قد جعل مسألة سيادة تلك البلاد واستقلالها عند وفاة السيد سعيد أمرا ثابتا لايحتاج الى نقاش . وحتى بعد انقسام السلطنة بين ولدى السيد سعيد : « ماجد » في زنجبار و « ثويني » في مسقط ، فقد بقيت السلطنة في مسقط بعيدة عن أى نزاع أجنبى لان

سيادتها ضمنتها اتفاقيات دولية بينما خضعت زنجبار للنفوذ الاجنبى •

وقد أشار تقرير عن السياسة الخارجية الامريكيـة عام ١٩٤٦م نحو امارات الخليج العربى عامة وسلطنة عمان خاصة ، بأنه في الوقت الذى تعترف فيه الولايات المتحـدة بالوضع الخاص لبريطانيا العظمى في امـارات الكويت والبحرين وقطر والساحل العماني المتصالح ، فان سياستنا ــ أى سياسة الحكومة الامريكية ــ نحو هذه المنطقة تعتمد على أن الوضع البريطاني الخاص في هذه الامارات لن يؤدى الى الحاق الضرر بالمصالح الامريكية أو مصـالح السكان المحليين والحكومات القـائمة ، وأن سياستنا نحو سـلطنة عمان تستند على واحدة من أقدم معاهدتنا التى مازالت نافذة المفعول وهى معاهدة الصداقة والتجارة الموقعة بين الطرفين في ٢١ سبتمبر ١٨٣٣م •

ويضيف التقرير مؤكدا على أهمية العلاقة بين الولايات المتحدة وسـلطنة عمان مشـيرا الى أن الذكرى المئوية لتوقيع المعاهدة المشار اليها والتى أحييت في مارس ١٩٣٤م تميزت بزيارة قامت بها بعثة دبلوماسية أمريكية خاصة لمسـقط ، وفي عـام ١٩٣٦م اسـتقبل الرئيس الامريكى « فرانكلين روزفلت » Franklin Roosevelt في واشنطن السلطان سعيد بن تيمور سلطان عمان كضيفه الخاص •

واختتم التقرير سـرده للاحداث بالمقارنة بين تلك

المعاهدات التي وقعتها الامارات العربيـــة الخليجية مع بريطانيا العظمى ابتداء من أوائل القرن التاسع عشر ، وبين المعاهدة العمانية البريطانية ، فالامارات العربية الخليجية تعهدت لبريطانيا منذ عام ١٨٢٠م بالمساعدة للقضاء على « القرصنة » في الخليج العربى ، ووضـــع حـــد لدخول السلاح والرقيق الى بلادهم ، وعن طريق سلسلة من المعاهدات أعطى حكام الامارات للبريطانيين حق استغلال أراضيهم مقابل الحماية البريطانية ، وفيما بين عامى ١٩١٣، و ١٩٢٣م ربط حكام الامارات العربية الخليجية أنفسهم أكثر بالتعهد بعدم اعطاء امتيازات البحث عن البترول في أراضيهم لاية دولة أخرى دون موافقة وقبول البريطانيين.

بينما وافق سلطان عمان في عام ١٩٢٣م على مجرد استشارة الوكيل السياسي البريطاني في الخليج وحكومة الهند البريطانية قبل البحث عن البترول في سلطنته .

مصادر يمكن الرجوع اليها

١ ــ د٠ رأفت الشيخ : أفريقيا في العلاقات الدولية ٠

٢ ــ د٠ رأفت الشيخ : في تاريخ العرب الحديث ٠

٣ ــ د٠ صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربى ٠

٤ ــ د٠ جمال زكريا : الخليج العربي ٠
جزان من ١٩١٤ــ١٩٤٥ ومن ١٩٤٥ــ١٩٧١م ٠

٥ ــ لوريمر : دليل الخليج ٧ أجزاء ٠

٦ ــ د٠ جلال يحيى : المغرب العربى الكبير جزان ٠

٧ ــ The American Assembly, Columbia University : The United States and the Middle East. —

٨ ــ De Nonga, J. A.: American interests and Policies in the Middle East 1900—1939. —

٩ ــ William R. Polk : The United States and the Arab World. —

١٠ ــ Coupland R. : Exploitation of East Africa. —

١١ ــ Sanger, R.H. : Arabian Peninsula. —

١٢ — د• ريتشارد ستيفنس : استعراض لبداية العلاقة الامريكية التجارية والقنصلية مع سلطنة مسـقط وعمان (١٨٣٣ — ١٨٥٦م) ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، عدد يوليو ١٩٧٧م •

١٣ — دونالد هولي : عمان ونهضتها الحديثة •

١٤ — U.S. Documents Memorandum prepared in the Department of State (Secret), Washington, March 15, 1946, No. 790.00 14–946–Current U.S. policy toward the Arab Principalities of the Persian Gulf and the Gulf of Oman. —

١٥ — د• جمال زكريا : دولة البوسعيد في عمان وشرق أفريقيا •